محاضرة4: مفدي زكرياء

1. النشأة والتكوين:

مفدي زكرياء (1908-1977) هو زكرياء بن سليمان بن يحي بن سليمان بن الحاج عيسى (لقبه الفرقد سليمان زميل البعثة الميزابية ب مفدي) فأصبح لقبه الذي اشتهر به ، هو ابن ولاية غرداية نشأ وتعلم في بلدة بني يزقن حيث تلقى تعليمه الأولي (القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية) ([1])، وقد كان للقرآن الكريم أثره الواضح في تشكيل وعيه وتجربته الشعرية التي اعتمدت على هذا المصدر بصورة كبيرة .

التحق بالبعثة الميزابية في تونس متنقلا بين عدد من المدارس : مدرسة السلام ، المدرسة الخلدونية ، جامع الزيتونية ، وقد كانت الفترة التونسية فترة خصبة في حياته الأدبية حيث جمعته الصداقة بالشاعرين: أبو القاسم الشابي، ورمضان حمود ([2])، كما كان لتأثره بشعراء المشرق ، في مصر (أحمد شوقي ، وحافظ إبراهيم) ، ومن العراق (معروف الرصافي).

لقب بـ "شاعر الثورة الجزائرية" وكان الصوت الأبرز للثورة ، حاملا راية التعبير الشعري عنها معبرا عن أحلام أبنائها ، ووجع مواطني بلده آنذاك، وهو ما تجلى منذ قصيدته الأولى" إلى الريفيين" التي نشرها في سن السابعة عشرة تعبيرا عن قضايا شعريته وهموم وطنه وخاصة أبناء الريف الجزائري:

أجبريل هلل بأي الظفر وكبر وخط جليل الخبر

---

[1] - مفدي زكرياء، مقدمة ديوان " أمجادنا تتكلم "، جمعه وحققه : مصطفى بن الحاج بكير حمودة ، الجزائر: مؤسسة مفدي زكرياء ، 2003، ص 1.

[2] - المرجع نفسه.

ورف بأجنحة النصر فوق (بني الريف) ، حول القنا المشتجر

ورتل على الجيش (إن تنصروا اللـــــــه ينصركم) ببلوغ الوطر

وأعل اللواء لهام الثريا وسر للأمام بتلك الزمر

توالت بعدها قصائده في جريدة " لسان الشعب" وجريدة " الصواب" التونسيتين ، اللواء" و"الأخبار" ، ثم في الصحافة المصرية "اللواء" ، و"الأخبار "

يكشف توجهه الشعري بقوله" المصير عن طريق المجال الشعري .

ويقول عن طريقته في الشعر : " أما الشعر ، فأنا فيه أستاذ نفسي ، غير أنني أعرض بضاعتي على أساتذتي ورؤساء البعثة ، ولقد قرأت الزحافات والعلل ، والدوائر على شاعر الخضراء الشاذلي خزندار ، ولي إطلاع شخصي على العروض والموازين" ([1]) .

2. أعماله:

1- اللهب المقدس : صدرت طبعته الأولى في بيروت عام 1961.

2- تحت ظلال الزيتون ، المطبعة الرسمية ، تونس 1965.

3- من وحي الأطلس .

4- إلياذة الجزائر 1972 .

5- أمجادنا تتكلم 2003.

[1] - بلقاسم بن عبد الله، مفدي زكرياء شاعر مجد ثورة ، حوارات وذكريات ، الجزائر: مؤسسة مفدي زكرياء ، 2003م ص 22.

3. مراحل تجربته الشعرية:

مرت تجربته الشعرية بأربع مراحل أساسية :

- **المرحلة الأولى** : المرحلة الإحيائية وهي مرحلة ذات طابع رومانسي يغلب عليها الطابع الذاتي وتمتد على مدار خمس سنوات ، وتضم نتاجه الشعري ما بين (1925-1930) ، ومنها قصيدته "خواطر كئيب " التي يقول فيها:

هو الدهر في قوس الطوارق ما أبقى فلله ما لقيت منه وما ألقى
وتلك عهود ما ألد كؤوسها لو أن بريق السعد كان بها صدقا
رعى الله أياما لنا ولياليا أبى الله إلا أن تُعد مع العنقا
أو يقاتُ عزكم خلعن مطارفا علينا سنيات مفوفة بلقا
عهود رشفن من سلافة ثغرها نمير معالينا فتيمننا عشقا
وعصر تقضى فاستهلت عيوننا بمخضل دمع ظل مسترسلا طلقا

- **المرحلة الثانية : المرحلة الواقعية** ذات الطبيعة الجهادية التصاقا بالواقع الجزائري آنذاك ، ومن نماذج هذه المرحلة قصيدته " نشيد بربروس" ([1]):

ياليل خيم... واعصفي ياریاح يا أفق دمدم... واقصفي يا رعود
يا دم شر شر .. واثخني يا جراح يا غل صرصر ... واحدقي يا قيود
يا سجن ازخر ... بجنود الكفاح فأنت يا سجن... طريق الخلود ...!!
أنت محراب الضحايا
في حناياك الأسود
أنت ... أنت ... أنت... يا بربروس
يا مصنع المجد، ورمز الفدا يا مهبط الوحي لشعر البقا

[1] - مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ط3، الجزائر: موفم للنشر ، 2000م، ص 76.

يا معقل الأبطال، والشهدا يا منتدى الأحرار، والملتقى

أصبحت يا سجن لنا معبدا عليك نتلو العهد والموثقا

يوم قمنا ورفعنا

في السموات البنود

أنت ... أنت ... أنت... يا بربروس..

- **المرحلة الثالثة**: مرحلة الثورة وهي امتداد للمرحلة السابقة وتفجيرا للحس الثوري الممثل للعصب الأساسي لتجربته الشعرية ، يقول في قصيدته "أهلا بنسل الفاتحين ومَرْحَبًا"([1])

نح في (الجزائر) كالهلال ضياء وانزل كريما كالنسيم صفاء

قف أيها الشعب الكريم موفيًا ركب الشباب تحية وثناء

وانشر على أقدامه زهر الهنا وأملاً الفضاء قصائداً وغناء

وافتح له تلك العيون نواديا، وافرش له تلك القلوب وطاء

وانصب له تلك الضلوع منابرًا يُلقي بها للعالمين بداء

ولتكتب الدنيا على ظهر البقا يومًا أَغَرَّ مُحَجَّلاً وَضَّاءَ

الدهر يحفظ، والشباب حِيالَهُ فِي (تِلْمِسَانَ) يَقرِّرُ الْأَنْبَاءَ

جمع الهوى فيه ثلاثة أضلع ما عودت لولا الزَّمَانُ حَفَاءَ

إن (الجزائر) في الغرام و (تونسا) و (الْمَغْرِبَ الأَقْصَى) خُلَقنَ سَوَاءَ

---

1 - مفدي زكرياء، أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى، ص 131.

تبت يد لم ترع حرمة عهدها ،فعدت تحاول بينها الإقصاء

- **المرحلة الرابعة : مرحلة الاستقلال**

وطني بروحي افتديك ومهجتي ودمي الشريف مبرة ووفاء

عهد على مدى الحياة مقدس يذكي عروقي نخوة وإباء

حسبي فخارا في حياتي أنني أغدو على وطني العزيز فداء

يا قادمين على الجزائر كالحيا يكسو البلاد نضارة وبهاء

أهلا بنسل الفاتحين ، ومرحبا وتحية ، ومحبة ، وولاء

هذي عظام الفاتحين من الثرى قد صفقت فرحا بكم ودُعَاءَ

وحيالكمْ مَدَنِيَة مَوودَهُ تدري الدموع ضراعة ورجاء

تلك الأبوة في جلال وقارها وحنانها تستعطف الأبناء

وإذا البنون رعوا حقوق أبيهم نال البنون سعادة ونماء

أكرم بأرواح الشباب فإنها قبس من الملا الرفيع أضاء ([1])

راسما صورة وطنية لأبناء الجزائر وقد اجتهدوا وحققوا الاستقلال اعتمادا على مقومات أصالتهم.

[1] - مفدي زكرياء، أمجادنا نتكلم، ص 133 .

4. السمات الأسلوبية في شعره:

اتصف شعر الشاعر بعدة سمات أسلوبية من أبرزها :

1.4. **التناص وخاصة التناص القرآني** الذي يمثل واحدة من أهم سماته الأسلوبية كما في قصيدته " ألا إن ربك أوحى لها" التي نظمها متأثرا بزلزال بلدة (الأصنام) غربي الجزائر قبيل اندلاع الثورة الجزائرية 1954:

هو الإثم ، زلزل زلزالها فزلزلت الأرض زلزالها
وحملها الناس أثقالهم فأخرجت الأرض أثقالها
وقال ابن آدم في حمقه يسائلها ساخرا : مالها ؟ ([1])

2.4. **التناص مع الشعر :**

في قوله من قصيدة " زنزانة العذاب رقم 73" ([2]):

أنام ملء عيوني ، غبطة ورضى على صياصيك ، لا هم ولا قلق

متناصا مع قول المتنبي الشهير في ميميته:

أَنامُ مِلءَ جُفوني عَن شَوارِدِها وَيَسهَرُ الخَلقُ جَرّاها وَيَختَصِمُ

3.4. **غلبة الأسلوب الخبري على الأسلوب الإنشائي:**

وهو ما يعني رغبة الشاعر في تقرير المعاني، يقول الشاعر في قصيدته" الذبيح الصاعد":

قام يختال كالمسيح وئيدا يتهادى نشوان، يتلو النشيدا

---

[1] - مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص 233.

[2] - المرجع نفسه، ص 25.

باسم الثغر، كالملائكة أو كالطـــــــــــــفل يستقبل الصباح الجديدا

شامخا أنفه، جلالا وتيها رافعا رأسه، يناجي الخلودا .

حيث تعددت الأساليب الخبرية على حساب الأساليب الإنشائية، فالأساليب الإنشائية متعددة الدلالات في مقابل الأسلوب الخبري في قدرته على تحدد الدلالة الشعرية دون التفاف على المعنى.

قائمة المصادر والمراجع:

1. بلقاسم بن عبد الله، مفدي زكرياء شاعر مجد ثورة ، حوارات وذكريات ، الجزائر: مؤسسة مفدي زكرياء ، 2003م.
2. مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ط3، الجزائر: موفم للنشر ، 2000م.
3. مفدي زكرياء، مقدمة ديوان " أمجادنا تتكلم "، جمعه وحققه : مصطفى بن الحاج بكير حمودة ، الجزائر: مؤسسة مفدي زكرياء ، 2003.